

الزجل والشعر الشعبي

اعتنى الباحثون العرب وغيرهم بالزجل باعتباره من مبتكرات العرب الأندلسيين في القرون الوسطى وذلك لاعتبارات عدة من أهمها ارتباطه بالشعب العربي المنكوب في الجزيرة الاسبانية وكذلك لما اشتهرت به من تأثير على الأدب الغربي في فترة من التاريخ وقد وجدوا به جمالا وطرافة وأدبا رائعا .

وفي نظري ان الزجل ما هو الا جزء من الشعر الشعبي الذي كان موجدا ولا يزال متداولاً بين الأجيال في مختلف الاقطار العربية وفيه من طريف التراكيب وزائع المواضيع ما يجلع البحث المتعلق بالزجل ناقصا اذا لم يتناول درر الشعر العربي الشعبي في جميع الأقطار العربية

واعتبارا لذلك نتناول جملة من تراكيبه في بعض البلدان عسى ان يكون ذلك فتحا لمجال البحث الشامل العميق لموضوع الزجل بطريقة أكثر موضوعية وشمولية من كونه مجرد تركيب لقطر معين في عصر معين وان كان هذا القطر عزيزا علينا جميعا مثل الأندلس العربية فالشعر الشعبي هو الشعر العربي الذي تغلبت عليه اللهجات المحلية التي لم تطبق فيها قواعد الاعراب الخاصة بلغة العربية الفصحى وذا اشتهر في الكثير من الأقطار العربية باسم "الشعر الملحنون"

يقول الاستاذ محمد المرزوقي ان أقدم ما عرف من الأدب الشعبي المنظوم هو تلك الارجيز المروية عن قدماء أجدادنا العرب والتي اختلطت فيها اللهجات العامية بالفصحى وتفنن فيها الشعراء فجعلو وزنها تاما أى متركبا من ست تفعيلات وهو ما طبقه الفقهاء والنحويون في متونهم او مجزوا أى يشتمل على أربع تفعيلات أو مثلوثا متركبا من ثلاث تفعيلات او منهوكا ذا تفعيلتين وهذا ما جعل شعراء افصيح يتحاشون هذا النوع من الشعر ويطلقون علي اسم "حمار الشعراء .

والشعر الشعبي بأكد وجوده من العصر الجاهلي واستمر حيا تتناقله الأجيال عن جيل بواسطة السماع ويساهم كل جيل في اثراء رصيده بما ينتجه فغدا عماد الأغاني الشعبية وركيزة السمر الشعبي وسجل تاريخ القبائل وضابط حوادثها وراية أمجادها .

وبالنسبة للمغرب العربي فقد كان للزحة الهلالية سنة 443 هـ أثر كبير في تركيز اللغة العربية وحلولها مكان اللغة البربرية وخاصة في تونس التي لم يتبق أو يكاد من يتكلم بها وعمّ بها شعر قبيلتي هلال وسليم الذي لا يبعد كثيرا عن الشعر الفصيح وهو من أصول الشعر الشعبي بهذه المنطقة من الوطن العربي ولم يدع مكانا للشعر الفصيح الا في الحواضر حيث توجد الحلقات العلمية وتفريز دواليب الحكم الاعتماد على العربية الفصحى .

ويروى لنا ابن خلدون في مقدمته من شعر خالد بن حمزة شيخ الكعوب من أولاد أبي الليل من قبيلة "سليم" أعراب تونس :

يقول وذا قول المصاب الذي نشأ قوارع قيعان يعاني صعابها كما يروى لنا من نفس العصر من النوع الذي يرتبط بالشكل المعروف "بالقسيم"
حليا ما طالعه :

تبدى لي ماضي الجياد وقال لي ايا شكر ما احنا عليك رضاش

وللشعر سبعة فروع ثلاثة منها بالفصحى وهي القريض والموشح والدوبيت وقد يمتزج بعضها بلغات أجنبية مثل ما نلاحظه في خرجات الموشحات الاندلسية (بالاسبانية التي أبرزها لسان الدين بن الخطيب في كتابه جيش التوشح او في غيرها مع اللغة الفارسية كما في الموشح المتداول في الغناء التونسي الليبي في مقام "العجم" الذي نجد من ضمن أبياته :

يا غزالا بلسان عربي ولسان الفرس "أيادوستأمن"

ومع اللغة التركية كما في هذا الدوبيت :

سلطان جمالك كتاب من أدمعي أسطر

وغيرك في الفكر والحشاء ما يخطر

وحق من قال : آدم في الجنان انظر

سنن جمالن قبيبي بودنيادا يك تر "

ومعني العجز الاخير : مثل جمالك لا وجود له في هذه الدنيا "

أما الغرور الاربعة الباقية فقد يكون عاميا صرفا أو خليطا بين العامية والفصحى وهي :

1- المواليا وقيل أن أول من تغنى به هي إحدى جوارى الرامكة (لعلها تكون دنانير)
كانت تندبهم اثر النكبة وتختم شعرها بكلمة يا موالية .

ومن خصائص هذا النوع انه ينظم على البحر البسيط وتتركب كل مقطوعة منه من اربع اسطر
محدى القافية مع التزام الحرف السابق للروى في الغالب وهو يقارب بالعربي في المغرب العربي.
وقد خلى على المواليا بعض التغيير في القرن الماضي وشاع تأليفه وغناؤه ارتجالا بمصر
مسبوفا بترديد كلمتي ياليل يا عين ولما سألت احد الشيوخ المصريين عن تاريخ هذا التردد اورد
عليه الاقصوصة الاتية على سبيل النكبة قال لقد كان رجل متزوج وله ابن اسمه ليل ، اصابه
الله بعشقه كادت تفنى عمره فحاول التزوج من معشوقته فاغتمنت هذه الاخيرة الفرصة وسلبت له
ماله ولما تأكدت ان مصر على الزواج طلبت منه طلاق زوجته ولما فعل قالت له ان هذه
الفعلى لا تكفي للاعراب عن شديد حبه لانه كان لا يحب زوجته وطلبت منه ان يقطع صلته بها
بقتل الابن الذن انجبتة منه (ليل) ففعل فقالت له حيثذ ان هذا لا يكفي ان يكن ان يكفن الابن
من رجل غيره؟ وطلبت منه ان يفع عينه هي من ابرز حواسه لا تدع مجالا للشك في حبه ولما
فعل وتغير منظره قاله اذا لم يكن فيك خير لزوجتك ولابنك فكيف اطمئن لك واطردته فخرج يبكي
ويندب ابنه "ليل" وعينه ؟ غناء ياليل ياعين قبل الموال في مصر المرحوم عبد الحى حلمي ومن
موالاته :

في دولة الحسن انت الواحد المفرد شفتك عرفت الهوى صبحتي مفرد يا بهجة الوح في بعدنا
تسعد وتترك احب يلعب في شمال ويمين فاسمح وواصل وخلي مغرمك يسعد
أما العربي هو يسمى في الجزائر استخبارا ويؤدى في غنائه مرتجالا في الاصل ومنه
فراق الحيا مر وصعيب خلف دموعي تقاطر

لوجت مالمقبتش طبيب يبرى هذا الجرح شاطر
فرقة بلا موجعة عيب ما تنسى من الخواطر

2- الكان وكان وهو مرتبط في اصله بالحكيالت والاسطير ثم استعمل لاغرني اخرى مثل
الامداح الصوفية ومن خصائصه ان صدر البيت يكون اطول من عجزه مع الالتزام يجعل
الحرف السابع للروى حرف علة مثل
ياقاسي مالك تسمع وما عندك خبر

ومن حرارة وعظي قد لانت الاحجاز

3- القوما ويستعمل قديما لايقاظ الناس للسحور في شهر رمضان المعظم وهو نوعان أولهما
تتألف مقاطيعه من أربعة اغصان او اشطار ثلاثة منه متحدة القافية وهي الاول والثاني والرابع
بينما يكون الثالث مخالفا لذلك كقول صفي الدين الحلبي

لازال سعدك جديد دايم وجد سعيد

وما برحت مهنا بل صوم وعيد

في الدهر انت الفريد وفي صفاتك وحيد

فالحق شعر منفتح وانت بيت القصيد

وقد جء من هذا النوع بطايحي من نوبة الصبعين من التراث الموسيقي التونسي طالعه (لعله منه
):

لا زال دهرك سعيد بالغرح دايم يزيد

واجب علينا التهاني في كل يوم جديد

أما النوع الثاني فيتركب دوره من ثلاثة اغصان متقنة القافية متدرجة في الطول كما في المثال
الآتي لصفي الدين الحلبي أيضا لوال طمعهم بان قلبي ما يدعهم ما خلفوني واطهروا في بدعهم
وقد اشتهر بهذا النوع من المعاصرين الزجال المعروف محمود بيرم التونسي رحمه الله
الزجل وقد تناوله اهل الاندلس بتجديد اوزانه وتعدد قوافيه فمنه الطبيعي الذي يعتمد اللغة العامية
ومنه "المزمن" ويجمع بين العامية والفصحى وعليه اغلب الزجال المطروقة في التراث الموسيقي .

وقد اجمع الباحثون على بروزه بالاندلس في اواخر القرن الرابع الهجري (العاشر ميلادي) وتناوله
اعيان الشعراء وجعلوه فنا حضريا رفيعا له قسمان اولهما ما يشترك مع الموشح من حيث اشتماله

على طالع وادوار تختتم بخرجات تتفق قوافيها مع قافية الطالع ويسمى الكامل وعليه الف ان
فرمان الاندلسي الزجل الموالي :

صرت عازب وكان لعمرى صواب ليس نزوج حتى يشيب الغراب

انا تايب يالسن نقول بزواج ولا جلوه ولا عروس بتاج

لا رئاسة غير اللغب بازجاج والمبيت براه والطعام والشراب

والنوع الثاني فهو الخالي من الطالع مع التحاد خرجاته في القافية كزجل ابي عبد الله احمد بن
الحاج المعروف بمدغليس الاندلسي :

ورذاذ دق ينزل وشعاع الشمس يضرب

فترى الواحد يفضض وترى الآخر يذهب

والنبات يشرب ويسكر والغصون ترقص وتطرب

وتريد تجي الينا ثم تستحي وترجع

وهو لم يقتصر على هذا بل له في القسم الاول (الكامل) مايلي :

ثلاث اشيا في البساتين ليس تجد في كل موضع

النسيم والخضر والطير شم وانتزه واسمع

ثم ترى النسيم يولول الطيور عليه تغرد

والثمار تنتثر جواهر في بساط من الزمرد

وبوسط المرج الاخضر سواقي كالسيف المجرد

شبهت السيف لما شفت الغدير مدرع

ومن الزجل الكامل أيضا ما اشتهر غناؤه بتونس في مقام راست الذيل من تاليف بن عتوز يتألم
به من مغادرة الاندلس :

آه على ما فات ناري لها وقود

هيهات هيهات زمن مضى يعود

هيهات يرجع زماننا الينا

والبدر يسطع من افقه مبينا والشمل يجمع كما مضى علينا

وتطيب الاوقات ونكمد الحسود

هيهات هيهات زمن مضى يعود

هذا واشتهر بانتاج الزجل بالاندلس عدد من النساء منهن "أم الكرام" بنت المعتصم بن صمادح

ملك المرية في عهد المرابطين المتوفي سنة 484 هـ 1091 م وكذلك نزهون بنت القلاعي

الغرناطية التي لها مواقف مع ابن قزمان منها ما يرويه المعري في "نفح الطيب" وابن سعيد في

المغرب في حلي المغرب". من ان ابن قزمان كان في مجلس يضم "نزهون القلاعية" الشاعرة

الديبية ، وكان يلبس " غفارة " صفراء على زى الفقهاء حينئذ (زادت في قبح وجهه حيث كان أحولا قبيح الصورة) فقالت له عقب ارتجال له بديع : " أحسنت يا بقرة بني اسرئيل ، الا انك لا تسر الناظرين فقال لها : "ان لم أسر الناظرين فانا أسر السامعين وانما يطلب سرور الناظرين منك؟ وتمكن السكر من ابن قزمان فعريد وآل أمره الى رميه في البركة لتأديبه والنوع الاول من الزجل له شبه وارتباط بنوع المزمومة التونسية وكذلك بالخصوص بما يعرف بالمحجوز المنتشر بجميع أقطار المغرب العربي

ومن المؤكد أن للزل تأثير كبير على الشعر البروفصالي الذي ظهر في القرون الوسطى بشكل بعيد عن الشعر اللاتيني في عروضه والمواضيع التي يطرقها .

وتناوله الشعراء الشعبيون المعروفون بجنوب فرنسا بالتروبادور " Troubadour " فكانو ينظمون شعرهم بغنونه في بيوت الامراء والشخصيات مسعملين أغراض الزجل ومواضيعه من عاطفة سامية رقيقة قد تصل الى الحب العذرى ووصف للمحبوب بالتية والقسوة والدلال بما يسبب للعاشق الولهان الذهول والسهر وابكاء والتذلل وذلك من خاصيات الادب العربي من خلال الموشحات والزجال على وجه الخصوص فتارة يتودد للرسل ويخشى الرقباء .

وقد شهد العالم الاستباني المسعرب "جوليان ريبيرا" يفضل الزجل العربي الاندلسي على الادب والفني العربي في القرون الوسطى حيث قال : "ان الزجل يعتبر المفتاح السحري الذي يشرح لنا أساليب الاشكال في مختلف الطرائق الغنائية عند الشعوب المتحضرة في القرون الوسطى وقد لاحظ ريبيرا Ribiera مع زملائه المختصين في الآداب الومانية من أمثال "جوفر رودال" وسيركامون والكونت دي بواتي ان قصائد التروبادور يتركب من ادوار يحتوى كل دور او سم منها على أربعة اشطر تشترك الثلاثة الاولى منها في القافية بينما تختلف في الشطر الاخير وهذا ما لاحظناه بالضبط ف الزجل الاندلسي ثم في الشعر الشعبي بمختلف البلاد العربية الى يوم الناس هذا كما لاحظناه في فن القوما وفي النوع الاول من الزجل المذكور سابقا وفي الدور الموالي من زجل لابن قزمان :

لم يعط الله أحد ما عطى لك ليس في النساء زينة بحالك
ثلاثة في الخلقه من خصالك بيضه ونقيه ووفيه
ويقابله من شعر التروبادور :

Pus de chantar m'es pres talens
Farai un vers don sui dolents ;
Non sarai mais obediens
De Peytan ni de Kemozi ;
Alvarez de villasandino

من الزجلا الاسبانية الصرف ما ألفه الشاعر المنسوج على شكل أ ب ب ب -أ-:

مركز أو سمط

الاغصان

الخرجة

وترجمته انني يارفاقي احيا حياة مرحة كل ايام حياتي وانا محق في ذلك

انني أعيش فحا دون هموم

لان الحب أتاح لي ان أعشق

تلك التي يمكننا ان نقول

انها أجمل الناس جميعا

وقد جار بشعره هذا في الوزن والتركيب زجل بن قزمان الذي مطلعاه :

يا مليح الدنيا قول

على أش انت يا ابن ملول

اي انا عندك وجيه

يتمجح من وفيه

ثم فاخلى ما تتيه

ترجع انسنك وصول

وهذا التأثير يفسره انتشار اللغة العربية وآدابها في الأوساط المسيحية الاسبانية المعادية للحضور

الاسلامي وتسرع منها الى البلدان المجاورة مثل فرنسا ونسج عليه التروباد في الجنوب والتروفار

في الشمال .

ويقابله أيضا من الشعر البرتغالي المعروف باغنية الصديق :

وترجمتها : يا صديقي، لانني لم أرك

لم تطرب نفس ولم تذق عيني النوم
أما الساعة وحيث أنني من الآن فصاعدا
أراك فأنني سأطرب وسأجد في نفسي سرورا
عندما أرى أي خير بين يدي.

وأثبت خوليان ريبيرا أيضا أن أغاني الفونسو العاشر المتوفي سنة 684 هـ 1283 م في مديح
العذراء المكونة من أربعمئة وعشرين قطعة مبنية على أساس من الموسيقى الاندلسية الاسلامية
وأن معظمها من الرجال

ومما يؤيد ذلك ما نشر بكتاب "بلانسيا" تاريخ الآداب العربية الاسبانية (باللغة الاسبانية
بيرشلونة سنة (1928) ص 271 - 272 .

من تدمر أحد الاسقافة الاسبان في القرون الوسطى وهو "الباره القرطبي" حيث يقول عن الشبان
المسيحيين : " انهم يتلذذون بقراءة القصائد والقصص العربية ويدرسون مذاهب المتكلمين
والفلاسفة المسلمين لا ليدحضوها ولكن لسكتسبوا أسلوبا عربيا جميلا وصحيفا أين يوجد اليوم
من غير الرهبان من يقرأ الشروح اللاتينية للكتبا المقدس...؟ - آه ان الشبان المسيحيين الذين
يمتازون بالتفوق لا يعرفون الا اللغة العربية والآداب العربية، انهم يقرؤون ويدرسوه بحرارة الكبا
العربية واذا تكلمت لهم عن الكتب المسيحية اجابوك باحتقار؟

- ان هذه الكتب لا تستحق ان يلتفت اليها - وا ألماه ان المسيحيين قد نسوا حتى لغتهم ومن
بين الف لا تكاد تجد أكثر من واحد يستطيع ان يكتب بلغة لاتينية سليمة رسالة لصديق -
وبالعكس اذا كان المقصود الكتابة بالعربية وجدت عدد كبيرا من الناس يعربون عن افكارهم بلغة
جميلة وينظمون قصائد العرب أنفسهم .

فروع الشعر الشعبي :

للشعر الشعبي فروع شائعة بمختلف البلاد العربية تختلف اسمائها وفي بعض الاحيان أشكالها
من قطر الى قطر نورد منها على سبيل المثال :

أ من تونس

1/ "القسيم" الذي هو ذو أبيات تتحد قوافي اشطارها الاولى كما تتحد قوافي اشطارها الاخيرة
وليس له طالع ولا رجوع

2/ الموقف وهو عبارة عن قسيم تتركب أبياته من أربعة اشطار تتحد قوافي اشطاره الثالثة الاولى ويخالفها الشطر الرابع بقافية متحدة في ذاتها وهو يقارن في ذلك بالنوع الاول من الزجل الاندلسي يشعر التروبادور

3/ "المسدس" وهو منظومة تتركب من طالع ذي ثلاثة اشطار وأدوار تتركب من ستة أشطار في الغالب الاربعة الاولى متحدة القافية والاخيران لهما نفس قافية الطالع .

4/ اما " الملزومة" فهي منظمة لها طالع ذو اغصنين أو شطرين او ثلاثة او أربعة وأدوار تتركب من ثلاثة أغصان في قافية متحدة يليها غصن ترجع قافيته لقافية الطالع .
ولهذه الاصول الاربعة فروع عديدة من أشهرها :

أ- من "القسيم "

1/ المثني ويتركب من غصنين قد تكون اغصانه الاولى أقصر من الثانية ويسمى حينئذ "مقطوف " .

2- المثلث ويتركب من ثلاثة اغصان أوسطها ناقص متحدة القافية وقد يخالفها الغصن الثالث في ذلك ويدخل هذا الصنف في "الموقف" الذي يعتبر من الاصول .

3- المربع ويتكون من أربعة أغصان تتحد الثلاثة الاولى منها في القافية ويمتاز الثاني بكونه "مقطوفا "

ب- الملزومة

وهي من أبرز الاصول ومنه المثناة التي يتركب طالعها من غصنين متحدى القافية ومن فروعها :

1- بورجيله البسيط" ويتركب من الطالع المذكور والادوار التي تتركب منه ثلاثة أغصان في قافية جديدة يكون أولها ناقصا ورابع يرجع لقافية الطالع وقد تتخلل أدوراه "عروبيات جمع "عروبي " ذوات ثلاثة أبيات (سنة أغصان) متحدة الوزن والقافية (تغنى ارتجالا)
أما "بورجيله المزبود " فانه يزداد فيه عن البسيط غصنان ينسجم أولهما مع قافية الدور الثاني مع التي للطالع .

2- "السوقة " ومنها "التباعي المردوف " المشابه لبورجيله البسيط مع تعويض العروبي بمقدمه مثلثة مقطوفه الطرفين .

ج- "الملزومة المثناة ":

ويتميز طلوعها بتركبه منثلاثة أغصان ومنها جاس المسدس الذي تتركب أدواره من ستة غصون تنفرد الاربعة الاولى منها بقافية خاصة بينما يرجع الخامس والسادس لقافية الطلع ومن الشعراء من تجاوز الستة أغصان في الدور حتى للعشرين على أساس الرجوع في الغصنين الاخيرين لقافية الطالع .

د- والملزومة قد تكون مربعة الطالع ذات أربع أغصان او مزدوجة وهي ما يجتمع فيه لوان من الموازين مثل الملزومة والقسيم .

ه- المحجوز (او المحزوز) الذي يسبه المؤرخ الاستاذ الرحوم محمد الحبيب لسيدى علي المحجوز أحد صوفية مدينة سوسة بالساحل التونسي كان ارتحل للمغرب وأتى منه بهذا النوع من الشعر الشعبي الذي اشتهر بغنائه في أفراح العاصمة التونسية وضواحيها ويتركب طالع من ثلاثة أبيات من نوع القسيم تختلف صدورها واعجازها في الايقاع تأتي بعدها شطرة على وزن الاعجاز ثم أخرى على وزن الصدور ثم شطرتان على وزن الاعجاز تعاد بعدهما الشطرة التي سبقتهما وهذا يمثل لونا غريبا يشبه أشكال الزجل الاندلسي يلي هذا الطالع ما يسمى بالعراف وهو مجموعة أبيات منحددة القافية يليه رجوع يختم بقافية الطالع .

ب- وفي الحجاز كان الشعر يتصل بالشعر الفصيح اتصالا جذريا في لغته ووزنه وأغراضه بحيث تكاد لا تفرق بينهما في الكتابة علة وجه الخصوص .

ومن أبرز الشعراء الشعبيين ورسخهم ضلعا في هذا الفن المرحوم راشد الخلاوى النجدي موطننا الذي عاش ما بين القرنين الحادث عشر والثاني عشر هجر ومن شعره:

فلا بالتمني تبلغ النفس حظها ولا بالتأني فاز بالصيد طالبه

ومنه :

ومن خاب في أول صباه من الثناء فهو لازم في تالي العمر خايب
وله فيا لابرار الفلكية التي اختص بها :

حمل الثور جوزة السرطان ورعى الليث سنبل الميزان

ورميت عقرب بقوس لجدى فملا الدلو بركة الحيتان

ومن الشعر الحديث قول عبد الله الصقري المولود سنة 1335 هـ

لا باس يا راس مع الناس حسس تسعد ساعاتهم وتشقى شقاوم

وتفرح لهم بالخير ما تبي الاتعاس الناس كل الناس طالب رضاهم

ومن الحديث ايضا قول عبد الله بن علي بن صقية ف احدى قصائده :

هيض غرامي والمخاليق هاجع حمامة تلعى على الغصن ساجعه

تتوح من شد العرب ما تذكرت ايام ماهي للمواليف راجعة وهي على غرار قول ابي قواس أقول
وقد ناحت بقربي حمامة "

واما في جنوب المملكة العربية السعودية فالشعر الشعبي يسجل المثل القبلية والمجد العشائر
والاحوال الفطرية للقبيلة (المخلاف والسليمانى) وحياتها وتقليدها في لغة شعرية كثيرا ما تحبها
الحركات الراقصة التي لها أسماء خاصة من أشهرها :السيفي وعرضة والدلع والامه والزامل
والزيفة والمعشى والملهح والعزواى.

وتتركب اشعارهم من أدوار ذوات اربعة أشطر تتحد الثانية في القافية وتختص الشطرة
الاخيرة بروى يشترك مع روى اواخر جميع المقاطع وذلك على غرار ما سبق لنا الاشارة اليه في
الزجل الاندلسي ويشعر التروبادور "والقوما " والموقف " من تونس و "المصلاوى من العراق كما
سيأتى

ومنه :

ألم تعلم بأني منك هالك حسين القلب ضاقت بي المسالك

كمن أخذت بله من المبارك خذوها القوم جهرا واغتصابا ومنه قول الشاعر "الزويكى " المتوفى
سنة 1226 هـ

يا الله يا مطلوب يا منشي السحاب يا من ذا ناده مكترب اجاب

يا رافع العرش العظيم بلاحجاب يا حافظ السبع الطابق بلا عمود

ومن شعرهم ما تركب من مقاطع مثلثة يشترك شطراه الاولان في الروى وينفرد الثالث بروى
يشترك فيه مع اواخر جميع المقاطع بيضا كما يلي من قصيده الحكمي التي نظمها سنة
1250هـ :

طلبتك بالذي يدري بغيب السروالجهر

ويعلم كل ما نفعل

ينال الفضل طلابه ويظفر من قرع بابه

برزق العبد ما يبخل

ومنه ما يجرى مجرى الموشح في تراكييه المتنوعة كما جاء في قصيد عبد الله السلامي في
معركة الحفائر بين الأتراك والادريسي سنة 1329هـ :

بلغ السلطان وقل له طحت في الردى قام لها السيد محمد صاحب الهدى
ونجمكم غرب

طعت هرج الوزراء والى مجالس وانت في اسطنبول متفس وجالس

وتبنى في قصورك والمجالس

يا هلاك السلطنة

(ج) وفي العراق وبعض الاقطار العربية الشرقية ترتبط انواع الشعر الشعبي بمقامات موسيقية
خاصة وباضافة ترنمات مل "يا ويلاه يا يوب " المرتبطة بالنوع المعروف "بالمصلاوى" الذي
تشتمل ادواره على اربعة اشطر تتحد الثلاثة الاولى منها في القافية على غرار ما تعرفنا عليه في
النوع الاول من الزجل الاندلسي وشعر التريبادور بفرنسا والموقف في الشعر الشعبي التونسي
وماقامه الموسيقي هو "الحجاز"

ويجرى على هذا النسق غناء "الخابورية" ومن خاصيته اعتماده على مقام الحكيمي وبداية غنائه
بكلمات (ول ول يا عيوني) .

ومنه أيضا "الاوذيه" ويتميز بوجود جناس في نهاية اشطاره الثلاثة الاولى ويجعل قافية الشطر
الرابع الخير بياء مشددة يليه حرف الهاء مثاله :

ترف لجلك نبيع العين بالعين مدام العين ويا عين بالعين

عين العين حامي العين بالعين لجل عيناك اثر مرض بيه

وللابوذية عدة اغراض من اشهرها : العتاب والتوجه والحماس والمدح والرثاء والغزل والهجاء
ومن هذا التركيب ايضا " العتابه"يغني على مقام البياتي وهو مثل الابوذية مع تفرده يجعل قافية
شطره الرابع الفاء وباء في طالعه مع تغيير هذه القافية في ادواره بالالب الممدودة الو المقصورة
ومن الغناء الشعبي العراقي ما يسمى "بالنايل" في مقام الصبا ويتركب من شطرين متعدى القافية
ويجرى النوع المعروف بالسيويحلي "مجرى"النايل" في النظم مع اختصاصه بمقام "الكردي"
وبتقديم الكلمة الاخيرة من البيت في الغناء بحيث البيت الموالي :

خلو العزيز ينام لا تجعدونه انهوده شبه رمان ليلسنونه
على النحو الآتي

لا تجعدونه خلو العزيز ينام ليلو سنونه انهوده شبه رمان وهو في ذلك يقارن بالغناء الليبي
(المرزكاوى نسبة الى مركز بمنطقة فزان بالجنوب) الذي يستعمل فيه هذا التغيير في خصوص
صدر البيت مثل غناء :

وفناجيله ناداي م البراد - بينما الاصل : نادى م البراد وفناجيله
وقد طبق هذه الطريقة في التلحين عدد كبي من الملحنين التونسيين المعاصرين - الركباني وهو
ايضا من الغناء الشعبي العربي شائع ف اغلب الاقطار الشرقية ومن خصائصه انه يغني على
مقام الاوج

ويكون من بحر البسيط وتشارك اشطاره الاولى في قافية معينة واشطاره الثانية في قافية اخرى
ويسمى عند البدو النبط "وهو اسم للشعر الشعبي في الجزيرة العربية وامارات الخليج كما سيأتي)
وينتج لاغراض الحماس والفخر والمدح كما يستعمل في الغزوات ويسمى حينئذ الحوارب ومنه
حنا عمامكم لو رحنا يا جرد من نزل عليها
بحرابها يا ما طعنا الو كم فارس صلنا عليها

الحداء يعتبر من أقدم غناء العرب يؤدي لتنشيط الابل لتجد في اسفرها الطويلة اثناء رحلتي
الشتاء والصيف اللذين تعرض لهما القرآن الكريم ويقال ان اول من انشد الحداء هو مصر بن
نزار وما شكله فيتحد مع الابوذية مع عدم التقيد بقافية خاصة في الشطر الرابع ومنه :
يا ما حديناهم وياما حدونه او ياما سقيناهم بكاس سقونه
لا كئنا نصبر من الواقفونه الو لا مثلنا يوجد على الموت صبار

د/ وفي امارات الخليج ينعت الشعر الشعبي "بالنبطي" وكلمة "النبط" تطلق حسب القاموس على
اقوام من العجم كانوا ينزلون بين العراقيين ثم استعملت في اخلاط الناس وعوامتهم ومنه يقال
"بنطية" أي عامية والنبطة ف اللغة هو ما يظهر من ماء البئر .ومن أشهر أوزانه :

1- مستفعلن فعلن مستفعلن فعل

مستفعلن متفعلن مستفعلن فعلن

2- فعلن متفاعلن فعول فعلن

أما الوزن الثالث فيكون في الغالب من وزن البسيط الخليلي مع جعل الناطة ساسكة الاواخر وتكون مصاريعه الاربعة متشابهة الروى كما يمكن ان يشترك القصيد كله في روى واحد وتتخلص أنواع الشعر النبطي فيما يلي :

- 1- القصيد وهو كما اسلفنا يتميز بوحدة الروى ومنهم من يلتزم بالروى في الضرب فقط ومن التغرودة " ويترنم بها المساف في الصحراء والرزحة التي تنشد مع رقصة العيالة والعازي وينشد في نهاية مسيرات
- 2- المربوع وهو يشبه الرباعيات وتتميز بالتزام روى واحد في الشطر البارح وهو في ذلك يشترك مع "القوما" ومع الزجل الاندلسي الذي نقله التروبادور الى اروبا وقدمنا منه امثلة في مطلع هذه البحث ومع الموقف التونسي ومنه :

اشكو بما بي جرى ثم صايب

حالي من الفرقة وكثر المصابيب في حب سيدا معرشات الذوابب لي ما رحم في ذا الدهر حال
عاليه.

- 3- الميدان وهي من الرباعيات ويعالج قضايا مطروحة عند القائمة ويتناول النبطي جميع المواضيع المتصلة بالشعر الشعبي والزجل من دنيبات ووصف للفرس والشتاء والطبيعة والترحال ومن تقاخر وهجاء وغزل
(ه) وف المغرب نجد من انواع الشعر الشعبي :

1- الثلاثي : ويتكون البيت او المقطع منه من ثلاثة اشطار متساوية أو متفاوتة مثل قصيدة
زينب لابن علي وحررتها الو طالعها :

يابدر عطاك حجاب - في ادجا يا شمس النهار السعيد يا زينوبة
فأين العهد يا زينب

2- المثنى وهو المركب من شطرين يسمى أولهما "الفراش" والثاني "الغطاء" يمكن ان يكونا

متساويين او لا مشتركين في القافية او لا

3- المثنى وهو الذي يفوق عدد اشطار ادوره الاثنتين

- 4- الخماسي هو ما اشتمل على خمسة اشطر يمكن ان يختلف بعضها عن بعض في القافية وفي حجم
- 5- الرباعي الو المربع ما اشتمل على أربعة اشطر سواء تساوت اما لا اشتركت في القافية او لا.
- 6- السوسي : ويتكون من أ) شطرين متحدى الوزن والقافية
ب) مجموعة اشطار لا تخضع لوحدة الوزن والقافية
ج) ثم بيتين او ثلاثة مغفاة وموزونه
- 7- المشنب : ويتكون من بيت ذى شطرين تتخللهما "المطيلعات" وهي اشطار حرة العدد والوزن ولاقافية
- 8- العروبي : وهو الذى ينشد قبل القصيد ويتكون من خمسة أشطار يسمى آخرها "الردمه" أي القفلة وقد يتجاوز هذا العدد مع احتفاظه بالطابع الفردى.
- 9- مكسور الجناح : ويتركب في المغرب من شطره واحد يليها عدد من الاشطار القصيرة (لمطيلعات) ثم مقطوع ينتهي بقافية الشطرة الاولى ثم الجربه وهي الطالع في أربعة أشطار تنتهي بنفس القافية بنفس القافية.
- 10 النشب : وه ان يلتزم الشاعر ببداية الشطر او البيت بأخر كلمت من الذي قبله وهناك نشب الكلمتين الي البدية بالكلمتين الاخيريتين من البيت السابق ونشب الشطر وهو ان يبدأ الدور بأخر شطر من الدور الذى سبقه ومن أمثلته الرائجة في الغناء التقليدي خفيف نوبة رمل المايه
الوشام الازرق غرني يا ح لونو ردني نعشق
والذي يعشق واجب يحفظ لسنو ليس به ينطق والذي ينطق بالندم يقطع زمانو ويموت مشتاق
ومن امثلة نشب الشطر قول التهايم المدغري المغربي :
ومن امثلة نشب الشطر قول التهامي المدغرى المغربي :

سلتك ببهاك يا الرح مالك سكران دون راح
ونا عقلي امعاك راح بايت من ليعات لجرايح
ساهر والناس رايجا

(بايت من ليعات لجرايح) باشوق اتكمد لجراح
اللي من دكت اللماح والغالب ما ابقى يسامح
ولا يدري مسامحا

وبعد هذا العرض لعدد من انواع الشعر الشعبي العربي اعتقد ان عصر تحاشي هذا النوع من الادب قد ولى وانقضى فلم يعد هنالك استعمار ببيت لتفكيك شمل العربية من خلال تشجيع اللهجات المليية على حساب اللغة الفصحى، لغة القرآن التي تجمع بين كل الشعوب الاسلامية . والنظرة الجديدة التي بدأ بها عدد من الباحثين ترمي الى دراسة هذا الادب من حيث اشكاله ومحتواه باعتباره جزءا من الكيان العربي الشامل يدعم شخصيتنا ويمكننا من التعرف على الحياة الاجتماعية والسياسية لقطر معين في فترة معينة والحفاظ على حيا متداولا يضمن تعلق عامة الشعب بمستوى رفيع من لغته الشعبية وخياله الفياثر وعاطفته لهجات تختلف بين القطر والقطر ممثلة بذلك باقة مختلف الوانها وروائعها نابعة من اصل واحد العروبة .

وارى من الضروري القيام بدراسات محلية لهذا الادب على مستوى الاقطار العربية تمهيدا لاقامة ملقيات وندوات علمية تضمن ما تجمع من كل البلاد العربية لاجراء الدراسة المقارنة وتعميمها ليستفيد الجميع من مجهود الجميع علنا نتوصل الى اشكال جديدة طريفة تطبق عليها الشعر الحديث عوض ما يقوم به البعض من تقليد اعمى للغرب الذي دفعه فقره اللغوى الى تفسير انماطه الشعرية التقليدية ويدخل في متاهات التجربة التي لا تعتمد على اصلة فيصبح شأنه شان "الموضة"

في اللباس الو في الايقاعات الموسيقية الراقصة فلا تعمر ولا تسمن من جوع ويمكننا من جهة أخرى ربط الزجل الاندلسي بأصوله العربية العريقة من الشعر الشعبي الاصيل الذي يكون وحدة أدبية عربية شاملة .

صالح المهدي

المراجع

- 2- منهاج البلغاء وسراج الادباء حازم القرطاجني - تحقيق الشيخ الحبيب
بن الخوجة (تونس)
- 3- العمدة لابن رشيق
- 4- المغرب في حلي المغرب لابن سعيد
- 5- المقدمة لابن خلدون
- 6- مرج الذهب ومعادن الجواهر للمسعودي
- 7- الادب الشعبي محمد المرزوقي تونس
- 8- الغناء العراقي حمودي الوردى (العراق)
- 9- معجم مصطلحات الملحون د.عباس الجرارى (المغرب)
- 10- الشعر الشعبي أحمد أمين المدني (دولة الامارات)
- 11- راشد الخلاوى عبد الله بن خميس (م.ع.السعودية)
- 12- الادب الشعبي في الجنوب محمد بن أحمد العقيلي (م.ع. السعودية)
- 13- ديوان عبد الله بن سعود الصقرى (" ")
- 14- ديوان عبد الله بن علي صقين (" ")
- 15- تاريخ الموسيقى الاندلسية د. عبد الرحمان علي الحجي (العراق)

16- Garcia barriuso - la musica

Hispano ,usul,qn en ,qruesscos -1941

17 - julian Ribera - musica Andaluzq

medival en las eancones de trovadores, troveros y minnesinger-1923